المكتبة الخاصة

أحمد الغرباوي

شهادات و تحاليل

تقديم إسماعيل العلوي

منشورات حزب التقدم و الاشتراكية

حزب التقدم و الاشتراكية
Parti du Progrès et du Socialisme

ثمن البيع : 60 درهم

Ahmed EL GHARBAOUI

Analyses et Témoignages

Présentation de Ismail Alaoui

Editions du Parti du Progrès et du Socialisme

حزب التقدم و الاشتراكية
Parti du Progrès et du Socialisme

Prix de vente : 60dh

جريدة بيان اليوم – الخميس 1 ماي 2003

أحمد الغرباوي : الإنسان و المفكر الملتزم

بقلم موسى كرزازي

أحمد الغرباوي : الإنسان و المفكر الملتزم

1. شخصية سي أحمد الغرباوي كمفكر ومثقف عضوي ملتزم بالقضايا العادلة

2. إسهامات سي أحمد الغرباوي كمثقف و كمفكر ملتزم

خلاصة

أحمد الغرباوي : الإنسان والمفكر الملتزم

بقلم الأستاذ موسى كرزازي – جريدة بيان اليوم
بتاريخ الخميس 1 ماي 2003

سنعالج بإيجاز في نقطة أولى جوانب من شخصية سي أحمد الغرباوي كمفكر ومثقف عضوي ملتزم بالقضايا السياسية لشعبه وبلده، والقضايا العمالية، وهموم الشباب، وكمناضل وقائد نقابي وسياسي وأممي. كما سنتعرض في نقطة ثانية إلى بعض إسهاماته كباحث ومفكر، عبر الدراسات التي أنجزها والتي تترجم التزامه بالمبادئ والقيم النضالية من أجل المصلحة العامة، أي مصلحة الوطن والشعب والطبقة العاملة.

1- شخصية سي أحمد الغرباوي كمفكر ومثقف عضوي ملتزم بالقضايا العادلة:

- ***خصال الإنسان: لا مساومة أبداً في المبادئ***

إن سي أحمد الغرباوي مغربي أصيل ومناضل سياسي ونقابي وأممي. بنيت شخصيته على قاعدة صلبة جعلت منه مثقفاً عضوياً ومفكراً ملتزماً، قوي الإيمان بالقضايا العادلة ومتشبثاً حتى النخاع بالمبادئ. ونسجل بكل اعتزاز بأن المرحوم لم يضعف أبداً في يوم من الأيام أمام سلطات المال والحكم والجاه، رغم كل الإغراءات التي قد تظهر من هنا وهناك للنخبة النزيهة، خاصةً تلك التي كانت في المعارضة، وذلك من أجل جرها بكل الطرق إلى معسكر الفساد. فملف سي أحمد طاهر ولله الحمد.

ومن هنا نفهم لماذا عاش سي أحمد الغرباوي كريماً أبياً، ومات كريماً، بحيث أنه ظل شامخاً شموخ العالم المستقل النزيه، يعيش من عرق جبينه، لا ينتظر منة أو امتيازات أو حتى منصباً مقابل تنازله عن المبادئ التي آمن بها؛ علماً بأنه يعتبر من الرعيل الأول للمثقفين المغاربة القلائل الذين تخرجوا من نفس المدرسة الفرنسية التي استفاد منها آخرون، أولائك الذين غلب بعضهم المصالح الشخصية على المبادئ. إنه الرجل العصامي الذي استطاع أن يكوّن نفسه بنفسه، متحدياً البيئة القاسية التي انحدر منها حيث ولد وترعرع. وأصبح ينتمي إلى نفس المدرسة التي تخرج منها عزيز بلال، أول دكتور في الاقتصاد، وعبد الكريم بن عبد الله، أول مهندس في المعادن؛ إنها مدرسة المبادئ والنزاهة الفكرية والجهر بالحقيقة دون خوف.

من أهم خصاله التواضع مع الجميع، بحيث لا يشعر طلبته أو زملاؤه الأدنى منه شهادة أو رتبة في سلم الهرم الجامعي بأنه يمثل ذلك الأستاذ المسيطر "الباطرون" «Le patron»، علماً بأنه كان أول دكتور مغربي في الجغرافيا. وللحقيقة والتاريخ، فإنه لم يحاول أبداً فرض آرائه السياسية أو النقابية على الغير. يترك الحرية لطلبته في اختيار ما يقتنعون به سياسياً أو إيديولوجياً. ولذا أحبه طلبته وزملاؤه. ويشهد على ذلك مدرج الشريف الإدريسي يوم تأبينه بمبادرة من كلية الآداب وشعبة الجغرافيا والمعهد العلمي، والجغرافيين الحاضرين من مختلف أنحاء البلاد، وبتنوع طلبته وزملائه على مختلف مشاربهم السياسية والإيديولوجية والنقابية. إن ذلك الحشد من المؤبنين والكلمات الخالصة التي قيلت في حقه خلال حفل التأبين يترجم مدى التعلق به والاعتراف بطيبوبته وقلبه الأبيض الذي لا يعرف الحقد، وكفاءته المهنية والعلمية وجرأته المعهودة. ومن

جهة أخرى، معروف عن سي أحمد بساطة العيش والكرم الحاتمي، وابتعاده عن سلوك العجرفة والأنانية المفرطة وحب السيطرة.

- ***شخصية سي أحمد الغرباوي متعددة الأبعاد ومتنوعة الجذور***

يمثل سي أحمد الغرباوي شجرة مغربية لها جذور أمازيغية، عربية - إسلامية ومتوسطية، متفتحة بغصونها وأوراقها وثمارها على كل العالم. فهو يفتخر بكونه من منطقة الريف، ويقولها ورأسه عالياً "أنا ريفي". وحتى لو لم يذكرنا بأصله الجغرافي (الريف بالمعنى الجغرافي)، الذي هو نفس أصل محمد ابن عبد الكريم الخطابي، فإن لكنته الريفية وطبعه الريفي يظل لصيقاً به، رغم أنه قضى بفرنسا خلال حياته الطلابية 12 سنة. فالطبع يغلب التطبع. إلا أنه ليس شوفينياً. فهو يفتخر ويدافع عن التراث العربي الإسلامي في كتاباته ومحاضراته، باعتباره مكوناً أساسياً للشخصية المغربية. فهو مغربي قبل كل شيء، أي أمازيغي عربي إفريقي متوسطي. وفي نفس الوقت فهو أممي، يدافع عن القضايا الإنسانية العادلة في العالم وقضايا الطبقة العاملة.

ومن هذا المنطلق تتجسد في شخصيته كل هذه الأبعاد الوطنية والأممية والإنسانية والتي ترجمت في أنشطته العلمية وفي التزامه السياسي والنقابي والأممي.

- ***سي أحمد الغرباوي الوطني الغيور على وطنه، والمتلزم السياسي***

إنه ملتزم بقضايا الوطن، والتحرر، والدفاع عن الكادحين وعن موارد الوطن (حماية الموارد الطبيعية والبيئة).

انخرط في الحزب الشيوعي المغربي وهو لا يزال شاباً يافعاً منذ سنة 1959 على يد المرحوم سي عبد العزيز بلال. ومنذ ذلك الحين، وهو مرتبط بقضايا الشعب والوطن، سواء في السرية يوم كان الحزب محظوراً (الحزب الشيوعي المغربي ثم حزب التحرر والاشتراكية)، أو في العلانية (حزب التقدم والاشتراكيةPPS). وقد اشتغل في القاعدة كمناضل، وفي هذا الإطار ترشح باسم الحزب في الانتخابات الجماعية سنة 1976 بحي المحيط بالرباط، حيث كان يقطن (زنقة بوخاريست). فتجند وأبلى البلاء الحسن، وفي ظروف صعبة كان لا يوجد في الواجهة إلا المناضلين المخلصين. كما ساهم كقيادي في الحزب (عضو اللجنة المركزية) في إغناء تحاليل الحزب بدراسات ومقالات كانت مرجعاً للمناضلين والشباب والباحثين. ويتذكر الشباب المغربي بأنه كان أحد المؤسسين لـ "شبيبة التقدم والاشتراكية" سنة 1976، التي أصبحت تسمى بعد مؤتمرها الوطني الأول "الشبيبة المغربية للتقدم والاشتراكية"JMPS وتحمل اليوم إسم "الشبيبة الاشتراكية" JS و التي انبثقت عنها "منظمة الطلائع أطفال المغرب- عزيز بلال" OPEM.

- ***سي أحمد الغرباوي المناضل النقابي***

انخرط المرحوم الغرباوي في العمل النقابي يوم كان طالباً بفرنسا، حيث أصبح رئيساً لـ"جمعية الطلبة المسلمين بشمال إفريقيا". وبهذه الصفة التقى بشخصيات دولية وعربية مرموقة، في مقدمتهم الرئيس جمال عبد الناصر.

كما انخرط في النقابة الوطنية للتعليم العالي، إلى جانب إخوانه ورفاقه في النضال عبد العزيز بلال واسماعيل العلوي وعبد الواحد الراضي وغيرهم.

ظل سي أحمد متشبثاً بالوحدة النقابية في إطار مركزية "الاتحاد المغربي للشغل" UMT إلى مماته. وبهذه الصفة كان مصراً على الالتصاق بالطبقة العاملة المغربية، يساهم في حماس في تأطيرها وتكوينها بحضوره في تجمعاتها وفي أعيادها كأحد قادتها، حيث انتخب واحداً من الأمناء العامين السبع لقيادة الاتحاد المغربي للشغل. والكل يتذكر سي أحمد وهو يلقي خطاباته النارية في صبيحة فاتح ماي بمدينة الرباط أمام حشود الطبقة العاملة، أو حاضراً في استعراضاتها بالدار البيضاء مع قيادة هذه المركزية، إلى جانب قيادة حزب التقدم والاشتراكية. وبهذه الصفة مثل أحسن تمثيل الطبقة العاملة المغربية باسم هذه المركزية في عشرات المؤتمرات والندوات العمالية العالمية. إنه المثقف المنصهر مع البروليتاريا.

2- إسهامات سي أحمد الغرباوي كمثقف عضوي وكمفكر ملتزم

لا يمكن فصل الصفات المشار إليها عن الامتداد التاريخي النضالي لسي أحمد الغرباوي كمثقف عضوي ومفكر ملتزم بالقضايا العادلة، بالقلم والحركة في الميدان. ولذلك، فقد سخر علمه ومعرفته لخدمة وطنه وشعبه، ولقضايا الإنسانية والقضايا العادلة في العالم. لم يعش سي أحمد في برجه العاجي كمثقف الصالونات بعيدا عن هموم شعبه ووطنه، بل كان منصهراً فيها منذ أن كان شاباً يافعاً. وفي هذا الإطار سخر تكوينه التاريخي كمجاز في التاريخ، للكتابة عن حرب الريف الشهيرة، تحت عنوان، "دروس من حرب الريف الشعبية، المناهضة للاستعمار" إصدارات "البيان"، مطبعة المعارف، في فبراير 1975.

EL GHARBAOUI (A), Enseignements de la guerre populaire" anti-colonialiste du Rif, Editions « Al Bayane », février 1975 (61p).

ونظراً لعمق التحليل التاريخي والظروف المحيطة بإصدار هذه الدراسة، فقد تفضل المرحوم علي يعته مدير جريدة "البيان" (الدار البيضاء، نونبر 1974)، بالتقديم لها، مذكراً بأنها "... من تأليف الرفيق أحمد الغرباوي، أستاذ الجغرافيا في كلية الآداب بالرباط. وقد سبق نشرها في سلسلة مقالات على أعمدة جريدة "AL BAYANE" بالفرنسية، خلال شهري يناير وفبراير سنة 1973. ونظراً للأهمية التي أظهرها قراء جريدة "البيان" بهذه الدراسة ولتكوين شبابنا وتعريفهم بالصفحات المضيئة من تاريخنا المجيد - يضيف سي علي يعته في مقدمتها - قررنا طبعها. وفي هذا الوقت الذي تطرح فيه أكثر من أي وقت مضى، مسألة تحرير الصحراء الغربية المغربية المحتلة من طرف إسبانيا، على الشباب المغربي أن يتعرف على معركة محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي، وذلك للتعبئة من أجل تحرير باقي المناطق التي لا زالت محتلة" (انتهى ما ورد في مقدمة الدراسة للسي علي يعته).

ويجدر التذكير بمبادئ سي أحمد التي تبرز بشكل واضح في كتاباته، ومنها دراسته هذه حول ملحمة الريف. فقد كتب موضحاً معنى "الريف؟"؛ مجيباً بأنه جزء من الوطن، ومن هو "الريفي ؟"؛ مذكراً بأنه مغربي بعيد عن كل قبلية أو شوفينية.

«Au Maroc, le Rif est la région septentrionale du pays, géographiquement parlant : il ne s'agit donc ni d'une tribu, ni d'un peuple. Les rifains sont partie intégrante du peuple marocain, mais le Rif a pris au début de ce siècle un sens politique particulier en symbolisant la résistance héroïque de notre patrie à l'invasion étrangère» -(p.7).

ويؤكد بأن الريف كان دوماً أرضاً للمقاومة، سبق لسكانه أن قاوموا الرومان، ولكنهم انخرطوا سريعاً في الإسلام، وغزوا إسبانيا، وقبلوا بأن تكون أول دولة إسلامية في الريف. وكان الريف قلعة للمجاهدين في القرن 17، وللمقاومة الامبريالية الإسبانية في القرن 20، كما قاوم المغاربة المحتلين الفرنسيين في الأطلس، والإسبان في الصحراء وفي كل ربوع البلاد.

نستنتج من تقديم سي علي يعته، بأن للدراسة مغزى سياسياً عميقاً. وبأنها شكلت مساهمة قيمة نشرت في الوقت المناسب، ومهدت الطريق للمسيرة الخضراء التي نظمت بعد سنتين فقط من نشرها، وأشرف عليها المرحوم الملك الحسن الثاني، رحمه الله. كما أن توقيت كتابة ملحمة الريف، بينت إلى أي حد كان سي أحمد حساساً للتحولات التي تقع في إسبانيا، ومخططات حكامها لخلق دويلة مصطنعة تابعة لهم. ومن هنا، كان شخص المرحوم سي أحمد الغرباوي يجسد انشغال الحزب بقضية الوحدة الترابية بفضل فطنته وسيولة قلمه، لتعبئة شعبه من أجل إفشال مخطط أعداء الوحدة الترابية عن طريق تحرير الصحراء الغربية المغربية من المحتل الإسباني.

وكان سي أحمد يفتخر بحصوله على رتبة جنرال، "جنرال سلمي"، نظراً لعلاقته بمصلحة الطبوغرافيا والخرائطية العسكرية كمستشار وخبير وعالم كرطوغرافي مختص في فحص الخرائط قبل إصدارها.

ونظراً للخدمات الجليلة التي أسداها لوطنه، استقبله المغفور له الملك الحسن الثاني شخصياً، تكريماً له كعالم جغرافي، على خدماته للوطن والشعب في هذا الميدان "الكرطوغرافي الاستراتيجي".

- ***العلم من منظور سي أحمد الغرباوي***

حسب منظور المرحوم، فالعلم قضية يجب أن تسخر للتنمية وخدمة الإنسان، بعيداً عن الشوفينية العرقية أو الدينية. من هذا المنطلق ومن البعد الإنساني والمغاربي للسي أحمد الغرباوي، واهتمامه بالكادحين، أنجز بحثه لنيل أطروحة السلك الثالث في الجغرافية البشرية بجامعة السربون حول موضوع: البروليتاريا المغاربية المهاجرة المقيمة في الضاحية الشمالية الغربية لباريس – دراسة جغرافية وكرطوغرافية، تحت إشراف ف. جولي (أستاذ بجامعة السربون)، سنة 1968 – 1969. (271 ص، أطروحة غير منشورة).

«Le prolétariat maghrébin immigré dans la banlieue nord-ouest de Paris-Etude géographique et cartographique», Thèse de 3° Cycle, Sous la Direction de F. JOLY (Professeur à la Sorbonne), Année universitaire 1968-1969. (271 p., Inédite).

وقد صدر له مقال مطول حول هذه الأطروحة يحمل عنوان: "العمال المغاربيون المهاجرون المقيمون بالضاحية الشمالية الغربية لباريس"، بمجلة "جغرافية المغرب"، عدد 19، سنة 1971.

El Gharbaoui (A.), Les travailleurs maghrébins immigrés dans la banlieue nord-ouest de Paris, RGM, n°19, 1971, pp. 3-54.

من خلال هذه الأطروحة وهذا المقال المطول منها، يتبين بأن سي أحمد قد استخدم البحث العلمي من أجل التنمية، ولخدمة قضايا الطبقة العاملة المغاربية ومشاكل الهجرة. وفي هذا الإطار عالج في أطروحته هذه، ظروف عيش العمال المغاربيين المهاجرين بفرنسا. وهي دراسة ميدانية تطرق فيها إلى المشاكل التي تطرحها هجرة الطبقة العاملة المأجورة أساساً،

في تنوعها وتعقدها، من مشاكل اقتصادية، ديموغرافية، اجتماعية، سياسية، ومسألة التكيف والترقية واللغة. إن بحث سي أحمد الغرباوي يعالج فقط البروليتاريا المنحدرة من المغرب والجزائر وتونس. وبالتالي، فهو لم يعالج مشاكل الهجرة لكل المقيمين بضاحية باريس، من تجار وموظفين وطلبة وغيرهم. كما أنه رفض التصنيفات والتقسيمات المبنية على أساس عرقي أو ديني (عرب، قبايل، شلوح، مسلمون، يهود)؛ بل درس كل ما يهم العمال المهاجرين من الدول الثلاث، مهما كان عرقهم ودياناتهم، في دراسة موضوعية، مبرزاً في قسمها الأول: الأسباب التاريخية، والاقتصادية والديمغرافية والقانونية للهجرة المغاربية. و معالجا في الجزء الثاني: مسألة العمال المغاربيين المهاجرين العاملين في المقاولات والمقيمين في ضاحية باريس (منطقة السين العليا). وهكذا، فقد تمت دراسة ظروف عيشهم بما فيها سكن القصدير وعملهم ومعاناتهم في الغربة.

وتعتبر هذه الدراسة أهم هدية للطبقة العاملة المهاجرة بفرنسا كشفت عن ظروف عملها ومعاناتها وأماكن تركزها والقطاعات التي تشتغل فيها. وسوف يتوج مسار بحثه العلمي بحصوله على أول دكتوراه دولة في الجغرافيا بجامعة السوربون، وتم طبعها في مطلع الثمانينات من القرن 20، تحت عنوان: الأرض والإنسان بشبه الجزيرة الطنجية – دراسة حول الإنسان والوسط الطبيعي بالريف الغربي، أعمال المعهد العلمي، سلسلة جيولوحيا وجغرافيا طبيعية، رقم 15، الرباط، 439 ص. مع ملحق خرائط.

EL GHARBAOUI Ahmed, 1981, La terre et l'homme dans la péninsule tingitane – étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental, Travaux de l'Institut Scientifique, Série: Géologie et géographie physique, N° 15, Rabat, 439 p. + Cartes hors texte.

وتعتبر هذه الدراسة حول الريف الغربي تمهيدا لما سيأتي من الدراسات البيئية التي تربط بين كل العناصر الطبيعية والبشرية والتاريخية والاقتصادية رغم تخصصه الأصلي الجيومرفولوجي. وشكل بهذا الإنجاز العلمي فاتح عهد لنشوء مدرسة جغرافية مغربية ستتعزز بأطروحات تلامذته لاحقا.

- ***المفكر والعالم الملتزم المهتم بقضايا الجامعة والبيئة والجغرافيا التنموية***

من منطلق المثقف العضوي والمفكر الملتزم، ساهم سي أحمد الغرباوي بدراسة قيمة من منظور حزبه حول مسألة التعليم العالي تحت عنوان: "حزب التقدم والاشتراكية ومشاكل التعليم العالي"، في إطار مناظرة نظمها جامعيو حزب التقدم والاشتراكية. وتفضل بتقديم الدراسة المرحوم علي يعته، وتم نشرها بالدار البيضاء، فبراير 1978، بمطبعة المعارف.

El Gharbaoui (A.), Le P.P.S et les problèmes de l'enseignement supérieur, Casablanca, février, 1978. (38p.)

وتشاء الأقدار أن يتصادف تنظيم هذا اليوم الدراسي للمرحوم، مع الشروع في تطبيق الإصلاح البيداغوجي الجامعي؛ فما أحوجنا إلى مثل هذه الدراسات القيمة. فقد انتقد آنذاك سي أحمد الغرباوي تشتت، بل بلقنة التعليم العالي، ودعا إلى توحيده. كما أعطى صورة عن واقع الحال للتعليم العالي المطبوع بهزالة الميزانية المخصصة له، وقلة التجهيز وفوضوية اللاتمركز، والإصلاحات المتناقضة، وتضخم عدد الطلبة بالمقارنة مع الأقسام والتأطير التعليمي، علماً بأن عدد الطلبة يظل هزيلاً بالمقارنة مع حاجيات البلد. واقترح حلولاً على مستوى الوسائل المادية والمؤسساتية، ملحاً على ضرورة تلبية مطالب الأساتذة والطلبة.

كما أن سي أحمد يعد مناضلاً من أجل إيجاد نظام اقتصادي جديد في المغرب والعالم. وفي هذا الإطار ساهم بمداخلة قيمة في مناظرة نظمت بتونس سنة 1992، وتم نشرها فيما بعد تحت هذا العنوان:

El Gharbaoui (A), 1992 «Pour un nouvel ordre économique au Maroc et dans le monde», Actes du colloque: l'Environnement à travers la Science Géographique, Tunis du 6 au 10 février, (Extrait du Cahier du C.E.R.E.S, Série géographique، Tunis).

كما ساهم المرحوم في مؤتمر الأمم المتحدة حول البيئة والتنمية بريو دي جنيرو بالبرازيل من 3 إلى 14 يونيه 1992، وسمي المؤتمر ب "قمة الأرض". وقد حضر هذا المؤتمر 40.000 مشارك ومشاركة، منهم 117 رئيس دولة وآلاف العلماء وممثلي المنظمات غير الحكومية، ومنهم سي أحمد الغرباوي. وتعميقاً للفائدة فقد ألقى المرحوم محاضرة قيمة حول نتائج المؤتمر المذكور بالمعهد العلمي يوم 10 نونبر 1992، تحت عنوان "قمة الأرض" ري وجي جنيرو، البرازيل، 1992، الأمل واليأس.

El Gharbaoui (A), «Le sommet de la terre» (Rio-De-Janeiro, Brésil, 1992): Espoirs et désillusions, Conférence publique à l'Institut Scientifique le mardi 10 novembre 1992.

واستعرض مختلف الوثائق المعروضة في المؤتمر، منها اتفاقية حول التقلبات المناخية، وأخرى حول التنوع البيولوجي، وتصريح مبدئي حول الغابات، وتصريح حول البيئة والتنمية، وبرنامج (Agenda 21). وقد انتقد النتائج الهزيلة التي تمخض عنها المؤتمر، بحيث أنها لم تصل إلى الأهداف المرجوة منها، محملاً في جزء منها الدول المتقدمة وخاصة الولايات المتحدة

الأمريكية التي ترفض توقيع عدة فقرات من المعاهدات التي تهم الحد من تلوث البيئة المهددة للبشرية (الغازات المنبعثة من المصانع).

وفي مقال له مهدى لأستاذه جون دريش Jean DRESCH، برع المرحوم الغرباوي في الدراسة المعمقة والمركبة حول "البحث الجغرافي والالتزام السياسي بالمغرب". وصدر هذا المقال بمجلة "هيرودوت" عدد 11، سنة 1979.

El Gharbaoui (A), «Recherche géographique et engagement politique au Maroc», In HERODOTE, géographie/anticolonialisme Jean Dresch, n° 13, 3ème trimestre 1979 (pp. 87–99).

هذا العدد من مجلة "هيرودوت" ركز على الجغرافيا ومعاداة الاستعمار، مشخصة في جغرافي شيوعي هو (جون دريش) كما يذكر سي أحمد ذلك، فالعدد مخصص لتكريم جغرافي عملاق ناضل، وهو فرنسي، ضد الاستعمار الفرنسي لصالح القضية المغربية. ومن خلال هذا المقال الهام نستشف مدى التزام سي أحمد الغرباوي بالقضايا العادلة ووفائه لقيم أستاذه. فالجغرافيا ليست وصفاً مجرداً عن الواقع؛ بل هي تحليل معمق له من أجل التنمية. وفي هذا المقال ميز المرحوم بين نوعين من الجغرافيا في المغرب: جغرافيا تقدمية يمثلها جون دريش. و"جغرافيا" استعمارية رجعية (هيرودوت، ص. 87).

ويقسم الجغرافيا الاستعمارية إلى أصناف ثلاثة:

أ- الجغرافيا المخابراتية لما قبل الاستعمار Géographie précoloniale de renseignement، لاستيقاء المعلومات السياسية، والإحصائية والدينية عن المغرب (المكتشفون المدنيون).

ب- الجغرافيا العسكرية لما قبل الاستعمار Géographie précoloniale de renseignement، لأخذ القياسات الطبوغرافية تحضيراً للغزو.

ج- جغرافيا الإقامة الاستعمارية Géographie précoloniale des militaires، التي اضطهدت الشعب المغربي.

أما الجغرافيا التقدمية، وهي معارضة للجغرافيا الاستعمارية، Géographie coloniale de la Résidence فكان يمثلها جون دريش. وهي متميزة بكونها عملية. يصف المرحوم الغرباوي "جون دريش" بأنه المناضل الشيوعي، والجغرافي الباحث في استثمارات الرساميل بالمغرب، والجغرافي المدافع عن المجتمع الفلاحي، وأنه بهذا المعنى مؤسس الجغرافيا التقدمية (هيرودوت، ص. 93). ويذكر أيضاً بأن دريش هو مؤسس جريدة "الأمل" المساندة للحركة الثورية والوطنية المغربية. وقد ظل دريش يساندها إلى حين الاستقلال.

وفي الأخير نشير إلى أن سي أحمد كان يمثل بحق المثقف المطلع على ثقافة بلده وشعبه. وفي هذا الإطار نشرت له عدة مقالات حول الثقافة بجريدة "البيان"، منها "الثقافة والمؤسسات" التي نشرت في شهر أبريل سنة 1989 وتطرقت لمشكل الثقافة في بلادنا، مقدماً الاقتراحات للرفع منها.

El Gharbaoui (A), «La vie culturelle et ses institutions», In Al Bayane, (Etude), les 8–9–10 avril 1989.

خلاصة

يمكن القول بأن سي أحمد الغرباوي يظل حاضراً معنا كقدوة لنا وللأجيال الصاعدة، كمثقف عضوي ومفكر ملتزم ونزيه، ترك لنا إرثاً ثقافياً ورمزياً نفتخر به. وفقدانه يعتبر خسارة كبرى لبلده وشعبه وطبقته

العاملة وفئاته المثقفة. وعلى المستوى العلمي، يظل سي أحمد حاضراً معنا، لأنه ترك وراءه مدرسة جغرافية وطنية، وتلاميذ، ونحن منهم، يستمرون في حمل المشعل لإضاءة دروب المعرفة، في إطار موضوعي نزيه موجه لخدمة التنمية والمصلحة العامة وفي دياليكتيكية "الإنسان والأرض".

(x) ألقيت هذه المداخلة خلال اليوم الدراسي الأول للمرحوم أحمد الغرباوي، المنظم من لدن مركز عزيز بلال للأبحاث والدراسات، الاتحاد الجغرافي المغربي، شعبة الجيومورفلوجيا ووضع الخرائط بالمعهد العلمي بالرباط بتاريخ 12 ماي 2001، ضمن محور "الفكر الجغرافي والالتزام عند أحمد الغرباوي". وهي منشورة بالعدد الخاص لجريدة "بيان اليوم" (ص9) بمناسبة فاتح ماي 2003.

إهداء إلى روح الفقيد سي أحمد الغرباوي

أختم مقالي هذا المهدى إلى روح الفقيد سي أحمد الغرباوي، كشهادة حب وتقدير للإنسان والمفكر الملتزم الذي عرفته قبل أن يعرفني وأنا طالب في الإجازة بجامعة محمد الخامس، ثم كطالب في السلك الثالث، حيث كان المشرف على بحثي لنيل دبلوم الدراسات العليا، ثم الإشراف المزدوج على الدكتوراه مع الأستاذ اسماعيل العلوي، أطال الله في عمره. كما عاشرت سي أحمد كزميل لنا عندما كان رئيساً لشعبة الجغرافيا بالرباط، ثم كرفيق مناضل مخلص.

وتشاء الأقدار أن يغيب عنا سي أحمد فجأة بدون سابق موعد. وبمناسبة هذا اليوم الدراسي الأول للمرحوم سي أحمد الغرباوي بالمعهد العلمي، لا يسعني إلا أن أنقل فقرة من كلمة الشكر والإهداء من أطروحة

الدولة التي كتبتها في حق أساتذتي الذين سهروا على تأطيري في كل مراحل التعليم، وفي مقدمتهم المرحوم سي أحمد الغرباوي.

وحيث أن المناقشة كانت في جامعة بروكسيل الحرة بعد وفاة المرحوم، فإنني أنقل الفقرة حرفياً كما كتبت في كلمة الشكر وهي مهداة إلى روح فقيدنا العزيز الذي وافاه الأجل يوم 18 نونبر 1999 2000 وهو يوم الانتهاء من تحرير آخر فصل من أطروحة دكتوراه الدولة التي كان رحمه الله، بمعية الأستاذ سي اسماعيل العلوي، قد اطلع على معظم فصولها. فإلى الأساتذة الأحياء أطال الله في عمرهم، والأموات تغمدهم الله بواسع رحمته، أهدي هذا العمل، المترجم في الفقرة التالية، المختصرة في كلماتها، وذات المغزى العميق في معانيها، اعترافاً لهم بالجميل وتكريماً لهم:

« Au Maroc, je tiens à remercier tous mes professeurs qui m'ont encadré et m'ont orienté durant la recherche, notamment M.ALAOUI Ismaïl, ex-chef du département de géographie à la Faculté des Lettres de Rabat, actuellement Ministre de l'Education Nationale (mars 2000). Dans ce cadre, je rends un hommage particulier à Feu Ahmed EL GHARBAOUI, Professeur éminent à l'Université Mohammed V à Rabat qui nous a quittés subitement...»

(***Moussa KERZAZI***, VUB : Université Libre de Bruxelles, Geografisch Institut, Bruxelles, 6 juillet 2000).